الفصل الرابع

الصين

مدخل عام نشأة الدولة في العصور القديمة:

عندما عاش الإنسان صياداً وراعياً متنقلا احتاج إلى تنظيم معين لحماية نفسه وأسرته وممتلكاته . وكان من اليسير أن يتحول الراعى فوق دابته إلى محارب ، وتحتمى النساء والأطفال خلف صخور أو ما يصد عنها سهام وهجمات المهاجمين ثم تغيرت تكتيكات الحماية عندما تحول الإنسان إلى الزراعة والاستقرار ، وأصبح له سكن ومخزن يختزن فيه غذاءه ، وقد تخير الإنسان السهول المنبسطة لليسر فى زراعتها . ولكن السهول المنبسطة كانت دائماً سهلة أمام المهاجمين ، وتجمع السكان المزارعون واتفقوا على تكتيك جماعى للحماية من الأخطار ، فأقاموا نقطاً للحراسة أو ما يشبه الحصون والقلاع ، واتخذوا نفراً منهم يتولى تنظيم هذه الحماية . حكومة ترعى مصالحهم(١) .

ويرى ول ديورانت(٢) أن الرجل من الناس لا يتحد مع زملائه مدفوعاً برغبته بقدر ما يتحد معهم بحكم العادة والتقليد والظروف القاهرة . فهو لا يحب المجتمع بقدر ما يخشى العزلة ، ولذلك تراه يتحد مع غيره من الناس ؛ لأن اعتزاله يعرضه للخطر ، ولأن ثمة أشياء كثيرة يمكن أن يجود أداؤها بالتعاون أكثر مما يجود بالأنفراد ... ولو جرت الأمور على ما يشتهى الإنسان المتوسط لكان الأرجح ألا تقوم للدولة قائمة .. ويتحرق شوقاً لحكومة لا تحكم من أموره إلا أقلها .

ويؤكد كلام ديورانت أن مجتمعات بسيطة اليوم لا تعرف الحكومات ، بل تعيش عادة فى أسرات منعزل بعضها عن بعض ، كما هو الحال فى أقزام أفريقيا وأهل استراليا الفطريين .

---

(١) Lipson, Leslie : The Great Issues of Politics, p. 44.

(٢) ول ديورانت (ترجمة زكى نجيب محمود) قصة الحضارة — الجزء الأول ، ص ٢٩ — ٤١ .

وقد عاش الإنسان فى فجر نظامه الاجتماعى الدائم فى قبيلة ، وهى تتألف من مجموعة من الأسر ترتبط بأواصر القربى ، وتقطن قطعة أرض على نظام الشيوع ولها طوطم مشترك ، كما أن لها حكومة تنظم أمورها . ثم اتحدت مجموعة من القبائل وكونت عشيرة لها رئيس ، أو غالباً مجلس من الرؤساء ، هم فى حقيقة الأمر شيوخ القبائل أو زعماؤها . ولم تكن لفرد واحد السلطة الكاملة إلا فى أوقات الشدائد ، وكانت كثيرة . فالحرب لا تهدأ . والحروب هى التى تخلق الرئيس وتخلق الملك وتخلق الدولة(١) . وعرف عن بعض القبائل أنها لم تكن تعرف من الحكومة إلا ما لرأس الأسرة على أسرته من سلطان ، فإن نشب القتال كانوا يختارون أشجع مقاتليهم فيولونه القيادة ويطيعونه طاعة عمياء ، حتى إذا وضعت الحرب أوزارها نزعوه وأعادوه إلى عمله السابق . أما فى فترات السلم فأكثر الناس سلطة هم الكهنة أو رئيس السحرة .

ويكاد يجمع نفر كبير من المفكرين ، فى سياق حديثهم عن نشأة الدولة إلى أن الحرب والغزو هما أساساها ... « تبدأ الدولة — باعتبارها مختلفة عن النظام القبلى — بأن يغزو جنس من الناس جنساً آخر » . ويقول أوبنهيمر : « إنك لترى أينما وجهت البصر قبيلة مقاتلة تعتدى على حدود قبيلة أخرى أقل منها استعداداً للقتال ، ثم تستقر فى أرضها مكونة جماعة الأشراف فيها ، ومؤسسة لها الدولة » . ويقول آخر : « العنف هو الأداة التى خلقت الدولة » . ويؤكد مفكر آخر أن الدولة نتيجة الغزو ، هى قيام الظافرين طبقة حاكمة على المهزومين .

وغالباً ما يقع الغزو على جماعة زراعية مستقرة تميل إلى السلام وتجنح إليه ثم تهاجمها قبيلة من الرعاة والصيادين ممن ألفوا المخاطر وأخذوا على الكر والفر ، وينظرون بعين الحسد إلى ما يتمتع به الزراع المسالمون من خير وفير ، ويسيطر الغزاة ، ثم يبدأون فى الاستقرار الفعلى والاندماج الحقيقى مع

---

(١) نفس المرجع ص ٤٢ - ٤٣ .

(٢) نفس المرجع ص ٤٤ .

المهزومين ، وتربط العوامل الاقتصادية من تجارة وتبادل المنافع بين هؤلاء وأولئك من غازين ومهزومين . وتنشأ بذلك علاقات لا تقوم على القرابة بل تعتمد على ما بين الناس من اتصال ، وتنظم هذه العلاقة . وعندما حلت القرية محل القبيلة أو العشيرة ، وأقامت حكومة لها صفة الاستقرار ، استلزم الأمر تدخل قوة خارجية تنظم ما بين القرى من علاقات وتنسجها جزءاً من شبكة اقتصادية أوسع . والدولة هى التى سدت هذه الحاجة . وأمنت الدولة سلاماً فى الداخل ثم بدأت تستعد لتوسيع رقعتها بحرب فى الخارج .

من أسرة صغيرة إلى مجموعة أسر وقبيلة تصطاد وترعى ثم تزرع ، إلى عشيرة جمعت بين قبائل وسادت حياة ديموقراطية بين أفرادها ... ثم غزو ثم دولة ... ثم دول .

عن الصين القديمة :

لا نعرف بالتحديد من أين جاء الصينيون أو إلى أى جنس ينتسبون ، ولا متى بدأت حضارتهم فى الزمن القديم ؟ وإنك إذ تتطلع إلى تاريخ مسلسل للحضارة الصينية سوف تجد أن الفترة من ٢٨٥٢ إلى ٢٢٠٥ قبل الميلاد قد حكم الصين فيها « حكام أسطوريون » . ويرى بعض المؤرخين أنه كان يعمر بلاد منغوليا منذ عشرين ألف سنة قبل الميلاد أقوام من البشر تشبه أدواتهم الأدوات الأزيلية التى استخدمتها أوربا فى العصر الحجرى الوسيط . ويرون أن نسل هؤلاء الأقوام قد جابوا منتشرين فى سيبيريا والصين .

وقد كتب مؤرخون صينيون عن تاريخ الصين ، ولكن غالبية المؤرخين الغربيين لا يثقون فى أقوالهم . ويتحدث الصينيون عن تاريخ الصين منذ ٣٠٠٠ ق.م. وبعضهم يصف خلق العالم كأنما أوتى علماً كشف النقاب عن المجهول ، ويقولون «١» إن « بان كو » هو أول الخلائق، وقيل إنه شكل الأرض عام ٢,٢٢٩,٠٠٠ قبل الميلاد .. وشكل الأرض فى مدة زمنية بلغت ١٨,٠٠٠ سنة وقد بذل من نفسه كل البذل فى عمله حتى إن أنفاسه تجمعت أثناء تشكيله الأرض فخرجت رياحاً وسحباً . وأضحى صوته رعداً وانسابت

(١) ول ديورانت (ترجمة محمد بدران): قصة الحضارة ـ الجزء الرابع ، ص ١٠ .

عروقه مجارى وأنهاراً وبسط لحمه فصار أرضاً ، وتبعثر شعره فكان نبتاً وشجراً ، وتناثرت عظامه فسكنت جوف لحمه معادن ، وتساقط عرقه فكان أمطاراً . وأما ماكان يهيم على جسمه من حشرات فقد أصبحت البشر!!

وقد تولى هذه الحشرات بالتربية والتمدين الملوك الأولون فى الأساطير الصينية ، وقد حكم كل منهم ١٨٫٠٠٠ سنة .. وجاء بعد هؤلاء الملوك الإمبراطور فوشى فى عام ٢٨٥٢ ق.م. وكانت له زوجة ذات عقل راجح وعلم كبير . عرفت باسم سيدة ساى لنج وبمعاونتها استطاع أن يعلم الناس الزواج (حتى يعرف الإبن أباه) . وتأنيس الحيوان ، والصيد، والموسيقى وتربية دودة القز . وقبل أن يموت فوشى أوصى أن يخلفه سن — نونج . وقد أدخل هذا الإمبراطور الزراعة فى الصين . واخترع المحراث الخشبى وأقام الأسواق ، وأوجد التجارة ، وأنشأ علم الطب . ثم خلفه هوانج — دى الذى لم يطل حكمه أكثر من مائة عام . وقد جاء إلى الصين بالمغناطيس والعجلات ، واستخدم المؤرخين الرسميين . وأقام مرصداً وبنى مساكن ومبانى من الآجر (١).

وكان على رأس دولة الصين إمبراطور ، مهما اختلف إسمه فهو (ابن السماء) بحكم نيابته عن الخالق ، ويستمد سلطانه مما يتصف به من الفضيلة والصلاح . ويليه فى السلطان أمراء أو أعيان . بعضهم بحكم مولدهم . وبعضهم بحكم تربيتهم وتدريبهم وهم يصرفون أعمال الدولة . ثم يأتى الشعب وواجبه فلاحة الأرض ويعيش فى أسر أبوية ويتمتع بالحقوق المدنية ، ولكنه لا رأى له فى تصريف الشئون العامة .

واشتهر الصينيون بالجلد والعمل الطويل المستمر الشاق ، ويتحدث كتاب الغرب عن الآلام التى كان يعانيها الصينى منذ بداية يومه إلى أن ينتهى من عمله بعد ساعات طوال فى صناعة النحاس والصفيح والحفر على الخشب ومزارع الأرز وتنظيف القطن . ولم يقتصر العمل على الرجال ، بل شاركت النساء

---

(١) Woody, Thomas : Life and Education in Early Societes. p. 112

الرجال بعض أعمالهم ، فعملن فى صناعات الحرير والقطن إلى جانب العمل المنزلى .

وقد ساد الزواج من امرأة واحدة وإن وجد تعدد الزوجات ولكنه لم يكن منتشراً ، وعرف أفراد الطبقات العليا نظام المحظيات ، أما الطلاق فلم يكن شائعاً ، ويمكن للزوج أن يطلق ولكن بشروط معينة وتحت ظروف خاصة . وكانت حكمة الحياة الأسرية تلخص فى أن النساء لا يتكلمن عما يدور خارج البيت ولا يتدخل الرجال فيما يدور داخل البيت .

وقد سادت الصين ديانات : الكنفوشية والبوذية والتاوية. ولأهمية تعاليم كنفوشيوس ، سوف أفرد له بعض الصفحات .

يقال إن كنفوشيوس ولد عام ٥٥١ ق.م من أسرة من نسل الإمبراطور العظيم هوانج — دى . وتزوج فى التاسعة عشرة ، وطلق فى الثالثة والعشرين ، ثم لم يتزوج ، واشتغل بالتعليم فى سن الثانية والعشرين متخذاً داره مدرسة ، ويدفع تلاميذه ما يستطيعون دفعه نظير تعلمهم التاريخ والشعر وآداب اللياقة والفلسفة . وكان يؤمن أن صنفين اثنين من الناس هما وحدهما اللذان لا يستطيعان أن يفيدا من تعاليمه وهما أحكم الحكماء وأغبى الأغبياء .

وكان لكنفوشيوس فى أول الأمر عدد قليل ممن تتلمذوا على يديه ، حتى إذا ذاع صيته أقبل عليه الكثيرون ممن أرادوا أن ينهلوا من حكمته ، حتى قيل إنه تخرج على يديه ثلاثة آلاف ممن تولوا مناصب عليا فى أجزاء متفرقة من العالم .

وعرف عن كنفوشيوس شكله البشع وخلقته الكئيبة مع عقل راجح وحكمة عالية ، ويقول تلاميذه إنه كان مبرأ من أربعة عيوب : فكان لا يجادل وفى عقله حكم سابق مقرر ، ولا يتحكم فى الناس ويفرض عليهم عقائده ، ولم يكن عنيداً ولا أنانياً . ومن أقواله : « لست أبالى مطلقاً إذا لم أشغل منصباً كبيراً ، وإنما الذى أعنى به أن أجعل نفسى خليقاً بذلك المنصب الكبير . وليس يهمنى قط أن الناس لا يعرفوننى ، ولكنى أعمل على أن أكون خليقاً بان يعرفنى الناس » .

ويرى موللر(١) أن الكنفوشية هى مفتاح التاريخ الصينى ، فانه رجل ، وليس نبياً مرسلا ، استطاع أن يدمغ مجتمعاً برمته بصورته ، فقد تخلى عن فكرة « مدينة الله » قائلا : « إننا لا نعلم كيف نخدم الناس ، فكيف نعرف الطرق لخدمة الأرواح ؟ إننا لا نعرف الحياة ، فكيف نعرف عن الموت ؟ » ، وكان هدفه الأسمى إقامة المدينة الأرضية المنسجمة . ورأى أن الطريق إلى مدينة منسجمة على الأرض هو التعاطف والإحساس بالغير ، وليست هذه الصفة منزلة من قوة عليا ولكنها — فى رأيه — عنصر أساسى فى الطبيعة البشرية .

ومات كنفوشيوس فى الثانية والسبعين من عمره ، وكأنه كان يعلم بانتهاء أجله ، فقد تغنى صباح يوم قائلا :

سيدك الجبـــل الشاهق دكاً ،
وتتحطم الكتلة القويـــة ،
ويذبل الرحل الحكيم كما يذبل النبات

ثم أوى إلى فراشه ، ومات بعد سبعة أيام ، وبكاه تلاميذه وهم يودعونه فى قبره ، أقاموا حول القبر ثلاث سنوات ينذرفون الدمع على أستاذهم . وقد خلف كنفوشيوس وراءه خمسة مجلدات عرفت فى الصين باسم « الجنجات الخمسة » أو « كتب القانون الخمسة » ، وهى : سجل المراسيم ، إذ اعتقد أن آداب اللياقة من الأسس الدقيقة لتكوين الأخلاق ونضجها ؛ وكتاب التغيرات ، وتحدث فيه عن علم ما وراء الطبيعة ، وكتاب الأناشيد ، وفيه شرح كنه الحياة البشرية ومبادىء الأخلاق القويمة ، وكتاب حوليات الربيع والخريف ، وفيه الأحداث التى وقعت فى موطنه الأصلى ، ثم كتاب التاريخ وجمع فيه أشرف وأنبل ما وجده فى حكم الملوك الأولين من أعمال تستحق التنويه والإشادة ، ثم أضاف مريدوه أربعة كتب جمعوها من آرائه الفلسفية .

ولعل خير ما يعبر عن المنهج الفلسفى الكنفوشى ما اعتقد فيه كنفوشيوس كل الاعتقاد ، فهو آمن بأهمية الأخلاق ، وهى مطلبه الأول ، وكان يرى ألا صلاح للفساد السائد فى مجتمعه إلا على أساس الأخلاق التى فسدت من ضعف الإيمان القديم وانتشار الشك السفسطائى فى ماهية الصواب والخطأ ،

(١) Muller, H. : The Uses of the Past, p. 330

وكان يرى ضرورة البحث الجدى عن معرفة أتم وأكمل من المعرفة السابقة . وعلى إعادة تنظيم حياة الأسرة تنظيما مبنياً على أسس خلقية سليمة . فيقول(١): « إن العالم فى حرب ، لأن الدول التى يتألف منها فاسدة الحكم ، والسبب فى فساد حكمها أن الشرائع الوضعية مهما كثرت لا تستطيع أن تحل محل النظام الاجتماعى الطبيعى الذى تقيمه الأسرة . والأسرة مختلة عاجزة عن تهيئة هذا المقام الاجتماعى الطبيعى ، لأن الناس ينسون أنهم يستطيعون تنظيم أسرهم من غير أن يقوموا أنفسهم ، وهم يعجزون عن أن يقوموا أنفسهم لأنهم لم يطهروا قلوبهم ، أى إنهم لم يطهروا نفوسهم من الشهوات الفاسدة الدنيئة ؛ وقلوبهم غير طاهرة لأنهم غير مخلصين فى تفكيرهم ، لا يقدرون الحقائق قدرها ويخفون طبائعهم بدل أن يكشفوا عنها ؛ وهم لا يخلصون فى تفكيرهم لأن أهواءهم تشوه الحقائق وتحدد لهم النتائج بدل أن يعملوا على توسيع دائرة معارفهم إلى أقصى حد مستطاع ببحث طبائع الأشياء بحثاً منزهاً عن الأهواء ، فليسع الناس إلى المعارف المنزهة عن الهوى يخلصوا فى تفكيرهم ، وليخلصوا فى تفكيرهم تتطهر قلوبهم من الشهوات الفاسدة ؛ ولتطهر قلوبهم على هذه الصورة تصلح نفوسهم ، ولتصلح نفوسهم تصلح من نفسها أحوال أسرهم ، وليس الذى تصلح به هذه الأسر هو المواعظ التى تحث على الفضيلة أو العقاب الشديد الرادع ، بل الذى يصلحها هو ما للقدوة الحسنة من قوة صامتة ؛ ولتنظم شئون الأسرة عن طويق المعرفة والإخلاص والقدوة الصالحة يتهيأ للبلاد من تلقاء نفسه نظام إجتماعى يتيسر معه قيام حكم صالح . ولتحافظ الدولة على الهدوء فى أرضها والعدالة فى جميع أرجائها يسعد السلام العالم بأجمعه ويسعد جميع من فيه » ..

هذا ، وقد وجدت إلى جانب الكنفوشية الديانتان التاوية والبوذية . ولا يتطرق إلى الذهن أن تنافساً قام بين التاوية والبوذية والكنفوشية ، فإن إحداها كانت تكمل الأخرى . وقد يعتنق الصينى الكنفوشية والتاوية معاً ..

---

(١) ول ديورانت (ترجمة محمد بدران) : قصة الحضارة ـ الجزء الرابع ص ٥٥ — ٥٦ .

على أن (الديانات) الثلاث نظرت بعين الاعتبار إلى حياة الإنسان الدنيوية ، ويروى أن لاو — تسى مؤسس التاوية علم مريديه أن « التاو » أو « الطريق الحق » مرتبط ارتباطاً وثيقاً جداً مع العالم ، وكان يهدف إلى الحياة السعيدة على الأرض بيسر ودون تعقيد .

وكان لاو — تسى يرمى إلى انسجام الجسم مع الروح ، الإنسان والطبيعة.. وسبيل الإنسان إلى ذلك ترك الأمور تجرى على هواها (١) .

وهكذا نجد التاوية تتأرجح بين ديانات بدائية وبين السحر ، وقد احتقر التاويون الأوائل متاع الدنيا . ولكن أحفادهم تنحوا عن التاو « الطريق الحق » إلى البحث عن أكسير الحياة وروحها .

أما البوذية فإن الاتجاهات الميتافيزيقية وفكرة الزهد فيها كانت غريبة عن الصينيين ، ومع ذلك جذبت إليها أتباعاً كثيرين . ولعل أكثر ما جذب الصينيين إليها دعواها عن الخلاص للنفوس . والبوذية تتكون من الأربع حقائق النبيلة وهى(٢) .

١ — الوجود شقاء .

٢ — يتسبب الشقاء عن الرغبات الأنانية .

٣ — يمكن تدمير الرغبات الأنانية .

٤ — يتم تدميرها باتباع طريق ذى ثمان شعب ، خطواته هى :

(أ) الفهم السليم .

(ب) الغرض الصحيح .

(حـ) القول الحق .

(د) السلوك القويم .

(هـ) المهنة المناسبة .

---

(١) Muller, H. : op. cit., p. 33.

(٢) Burtt, E.A. (Editor) : The Teachings of the Compassionate Buddha, p. 28.

(و) المحاولة الجادة .

(ز) اليقظة الواعية .

(ح) التركيز الصادق .

وقد دخل صينيون كثيرون فى ديانة البوذية أفواجاً بعد أن انتشرت هياكلها ومعابدها التى كانت ملاذاً للسلام وليست مراكز للنظام والصرامة . ولم تكن البوذية أكثر من ديانة دنيوية تدعو إلى حياة رءوم وادعة ، وعاشت جنباً إلى جنب مع التاوية والكنفوشية ، بل إنك تجد الرجل الصينى يعتنق الديانات الثلاثة فى وقت واحد ، ويقول فى نفسه لعل رجال الدين على حق ولعل هناك جنة كما يقولون ، وخير ما يفعله الواحد أن يتقبل كل هذه الديانات ويستأجر كهنة من ديانات مختلفة يتلون الصلاة على قبره ، فعسى أن تقبل صلاة أحدهم . وأكثر ما يهتم به الصينى أن يعيش مرتاحاً سعيداً فى دنياه ، فهو لا يطلب فى صلاته نعيم الجنة ، بل يطلب الخير لنفسه فى العالم الأرضى . ولا يعجب إذن إذا لم نسمع عن تعصب دينى أو حرب دينية فى الصين ، وأنصار كل دين متسامحون جداً مع أهل كل دين آخر . ولعل تمسك الصينى بدنيويته عن آخرته عدم إقبال الكثيرين من الصينيين على الإسلام أو المسيحية ؛ فكلاهما يدعو للجنة ؛ وقد دعت البوذية إليها من قبلهما ، والصينى يريد نعيم الدنيا .

التربية الصينية :

كما ظهر من الصفحات السابقة لم يكن للصين ديانة رسمية ، وإن كان « أبناء السماء » قد حاربوا فى وقت مبكر الديانة البوذية ، ثم عادوا ومكنوا بتسامحهم لكهنتها . وكما انفصل الدين عن الدولة فكذلك انفصلت التربية والتعليم عن الدين ، ولم تنفق الدولة على المدارس بل لم تكن هناك مدارس حكومية ، ولم يكن بالصين نظام تعليم حكومى . وقد انتشرت مدارس القرى وهى معاهد خاصة ساذجة لا تزيد قليلا عن حجرة واحدة فى كوخ صغير ، كان يدرس فيها معلم واحد يتناول أجره من آباء التلاميذ ، وكان أجراً ضئيلا .

ولم يكن يلج هذه المدارس إلا أبناء القادرين ، أما الفقراء فلم تتح لهم فرص التعليم . وغالباً ما كانت تأخذ المدرسة مكانها فى معبد من المعابد إذا لم تجد كوخاً مناسباً أو سقيفة أو ركناً يأوى التلاميذ . ولم تكن هناك مدارس للبنات ولا تعليم لغالبية التلاميذ بعد سن الخامسة عشرة . ولم يتعد الذين جاوزوا التعليم الابتدائى (الأولى) هذا أكثر من خمسة فى المائة .

على أن الدراسة بهذه المدارس المتواضعة خضعت لنظام صارم ، فكان الأطفال يأتون مع مطلع الشمس ويدرسون إلى قرب المغيب . ولهم فترات راحة يتناولون فيها طعامهم . وفى هذه المدارس كان التلاميذ يتعلمون القراءة والكتابة ومبادىء الحساب وشيئاً من كتابات كنفوشيوس وبعض الشعر . ووصفت اللغة التى استخدمت بالمدارس بأنها لغة ميتة لا تستخدم خارجها . ولهذا فإن العمل المدرسى لم يكن يعنى الكثير عند التلاميذ ، خاصة أن المعلم كان يلجأ إلى تحفيظهم على ظهر القلب وإلى استخدام العصا لتأكيد هذا الأسلوب من التعليم .

وقد حفظ الصغار الكثير من تعاليم المعلم كونج حتى تستقر فى قلوبهم ، على أمل أن يصبحوا فلاسفة وسادة مهذبين ، خاصة أن الكنفوشية كانت عقيدة المعلمين . وكان على التلميذ أن يتم دراسته فى مدة تتراوح بين ثلاث وخمس سنوات فى هذه المرحلة الأولى .

ويلى هذه المرحلة التعليم الثانوى ثم العالى ، وفيهما يتعلم الطلبة نفس الكتابات الفلسفية والدينية ولكن باستزادات وشروح . إلى جانب دراستهم التاريخ الصينى والقانون والمالية والشئون الحربية والزراعة . ويتمرن الطلاب على كتابة الشعر والمقالات على النمط الذى سار عليه أجدادهم .

وفى الكليات ، وكانت كلها أهلية ، تحتم على الطلبة التبحر فى الدراسات الكلاسيكية .

وكان غرض التربية عامة هو خدمة النظام القائم وإعداد الموظفين للدولة ، وهؤلاء كانوا يعينون على حسب نتائج الإمتحانات والشهادات التى يحصلون

عليها ، وقد أعجبت أفلاطون هذه الطريقة فى التعيين فى مناصب الدولة على أساس أنها لم تحل بين الشعب وتولى المناصب العامة ، وبواسطتها لم يصبح تولى المناصب امتيازاً تتوارثه فئة قليلة من أبناء الأمة . ولهذا كانت الدولة تعقد فى أوقات معينة امتحانات عامة فى كل مركز من المراكز يتقدم إليها من شاء من الذكور متى كانوا فى سن معينة .

ومن هذه الامتحانات ما يؤهل من ينجح فيها لوظيفة من الوظائف الصغرى فى المقاطعات أو يصبح عضواً فى طبقة الأدباء . وهؤلاء من يحصلون على درجة شيودزاى . ويصبح من حق الناجح أن يتقدم لامتحان آخر أرقى وأصعب، يعقد مرة كل ثلاث سنوات ، ومن ينجح فيه يعين فى وظائف الحكومة « الصغرى » ، وهى أرقى من وظائف المقاطعات .و من حق الطالب أن يتقدم للامتحان مرة أخرى وثالثة ورابعة ... إذا رسب.. وقد يموت فى سن الثمانين ولم تنجح محاولاته ، فلا حد للسن فى هذا الامتحان .

وأما الناجحون فيحق لهم التقدم لامتحان نهائى فى كلية (هان لين يوان) أى غابة الأقلام وهى أكاديمية امبراطورية ، وكان يعقد فى بكين ذاتها فى أغرب قاعة امتحان ، تتكون من عشرة آلاف حجرة ، لكل طالب حجرة يأخذ فيها غذاءه وشرابه حيث يستمر الامتحان ثلاثة عشر يوماً(١). ويعطى الطالب بعد دخوله الحجرة أسئلة الامتحان كأن يكتب قصيدة عن « صوت المجاديف والتلال الخضراء والماء » . ويبقى فى حجرته رديئة النهوية متحملا البرد والشظف ليكتب عن كنفوشيوس والأدب والأخلاق والفلسفة . وكان الناجحون يعينون فى مناصب الدولة الكبرى ، ولم يزد عدد الناجحين عن واحد فى المائة .

---

(١) Mc, Cormick, P, J, : History of Education, p. 14